

خطبة: الإيمان بالله وثمراته





الشيخ محمد بن إبراهيم السبر

خطبة: الإيمان بالله وثمراته

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده وعبد ربه مخلصًا حتى أتاه اليقين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

عباد الله، فإن العقيدة الإسلامية تقوم على أسس عظيمة وقواعد متينة، فهي منهج حياة ودستور دين ودنيا، ومن أسسها الإيمان، وهو قولٌ باللسان واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والإيمان بأركان الإيمان إجمالًا فرضُ عين على كل مكلف، فمن جحدها أو جحد واحدًا منها، فهو كافر؛ لأن من يؤمن ببعض الشريعة ويكفر ببعضها كافر بالجميع، قال الله تعالى موبخًا بني إسرائيل: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: 85]، وقد جاء ذكر هذه الأركان في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: 177]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: 49]، وفي حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"؛ رواه مسلم.

فقد فسَّر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بهذه الأصول الستة، وهي الاعتقادات الباطنة ومذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وقد حكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وقال بعض السلف: "ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال"، وأجمع السَّلَف الصالح على ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة من زيادة الإيمان ونقصه؛ قال الناظم:

إيمَانُنَا عَقْدٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلْ *** يَزِيدُهُ البِرُّ وَيَنْقُصُهُ الزَّلَلْ

والإيمان بالله تعالى هو الأصلُ الأول من أصول الإيمان، بل هو أصلٌ لأصول الإيمان كلها، فالإيمان بسائر أصول الإيمان داخلٌ في الإيمان بالله تعالى، ولعظم شأن الإيمان بالله تعالى، ذُكر في القرآن في سبعمائة وعشرين موضعًا تقريبًا.

والإيمان بالله يتضمن أربع قضايا أساسية، هي الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فوجود الله تعالى معلوم من الدين بالضرورة، وهو صفة لله تعالى بإجماع المسلمين، بل صفة لله عند جميع العقلاء، حتى المشركين، لا ينازع في ذلك إلا مُلْحِد، فهو تعالى إله حق موجود قبل جميع المخلوقات، ووجوده مستمر دائم بعد فناء المخلوقات، لم يسبقه عدم، ولا يلحقه عدم: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3].

ووجود الله تعالى ليس خرافة كما يقول الملحدون والماديون، والشيوعيون، وليس مجرد فكرة كما يقول الفلاسفة، وليس قضية مشكوكًا فيها، كما يقول غيرهم تعالى الله عما يقولون، بل هو إله حق قيوم حي لا يموت لا شك فيه.

والإيمان بربوبيته سبحانه فهو الرب الخالق، المالك، المدبر فكل ما في الكون فالله خالقه، لا خالق سواه، وكل ما في الكون فالله مالكه، لا مالك سواه، وكل ما في الكون من حوادث، فالله مجريها ومقدرها، له الملك المطلق، وكل ما يملك الخلق ويفعلون فهو مقيد قاصر ضمن الدائرة الكبرى التي يملكها الله ويأذن بها، ليس له منازع في ذلك، ولا مشارك.

والإيمان بألوهيته بأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه؛ لأنه الخالق، المالك، المدبر، فلا يجوز عقلًا أن تبذل العبادة لمن لا يخلق، ولا يملك، ولا يدبر، بل يجب أن يتوجه العبد بجميع عباداته؛ القلبية، والقولية، والعملية، للإله الذي أوجده، ورزقه، ويسر أموره، فيفرده بالعبادة وحده لا شريك له.

والإيمان بأن الله تعالى له صفات الكمال، والجمال، والجلال، وأنه منزه عن صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقات، فهو إلهٌ حي، قدير، عليم، حكيم، متكلم، فعال لما يريد: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]، فصفاته ليست كصفات البشر، بل له المثل الأعلى، كما أنه منزه عن أضداد هذه الصفات؛ مثل: الموت، والنوم، والجهل، والعجز، وغير ذلك من صفات النقص والعيب: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: 65].

وحين يؤمن الإنسان بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فإنه يحقق الإيمان الصحيح، والتوحيد الخالص، ويتميز عن سائر الوثنيين، والضالين، وأهل العقائد الباطلة الفاسدة.

عباد الله، وللإيمان بالله تعالى ثمرات وآثار مباركة في الدنيا على الأفراد والمجتمعات، فأجلُّها تحقيق عبادة الله وتوحيده، والتحرر من رق عبادة الهوى والنفس والشيطان إلى الحرية الحقيقية، فيتخلص العبد من قيد الشرك، ويهتدي من تيه الوثنية إلى محراب عبودية الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: 257].

والمؤمن بالله ينقاد مختارًا لحكم الله الشرعي، فلا يختار غير ما اختار الله ورسولُه صلى الله عليه وسلم له، ولا يتحاكم إلى غير كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65].

وبالإيمان بالله يحصل الأمن والاهتداء؛ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82]، وبالإيمان بالله تحقق الحياة الطيبة للمؤمن: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97].

بالإيمان بالله تتحقق وحدة النسيج المجتمعي والتكافل والإحسان بين الأسرة والارحام والجيران، وحسن الخلق مع سائر الخلق، فالإيمان يجمّل المسلم ويهذب منطقه وتعامله.

والعزة والرفعة في الإيمان بالله؛ قال ابن القيّم في إغاثة اللهفان: "العِزَّة والعُلُوّ إنَّما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو عِلمٌ وعملٌ وحالٌ؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 139]، فللعبد من العُلُوّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: 8]، فله من العِزَّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظٌّ من العُلُوّ والعِزَّة، ففي مُقابَلة ما فاته من حقائق الإيمان، علمًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا".

والنصر من ثمرات الإيمان بالله؛ قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: 47]؛ قال الشوكاني رحمه الله: "هذا إخبار من الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حق عليه، وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد، وفيه تشريف للمؤمنين، ومزيد تكرمة لعباده الصالحين"؛ ا.هـ.

أما في الآخرة فجزاء المؤمنين جزيل الأجر والثواب؛ قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: 72]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة:7- 8].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفى، وسمع الله لمن دعا، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: 28]، وتقوى الله سبحانه من أسباب نزول الخيرات والبركات، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: 96]، والمؤمن ينال محبة الله، ويلقي محبته في قلوب عباده في الأرض والسماء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: 96].

ثم اعلموا أن الله أمرَكم بالصلاةِ والسلامِ على نبيّه، فقال في مُحكَم التنزيل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56].

اللهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمدٍ، وارضَ اللهم عن خلفائه الراشدين الذين قضَوا بالحق وبه كانوا يعدِلون: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن بقية العشرة وأصحاب الشجرة وعن سائر الصحابةِ أجمعين، وعنَّا معهم بجُودِك وكرمِك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، ودمِّر أعداء الدين، وأصلح ولاة أمورنا، واجعل اللهم هذا البلد آمِنًا مُطمئنًّا رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على آلائه ونعمه يزِدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.
